عاشوراء وبيان ما فيه من اختلاف

إعداد
د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

يوم عاشوراء هو يوم العاشر من شهر المحرم، وهذا اليوم وقع نزاع شهير بشأن صومه بين الشيعة وأهل السنة، فيذهب الشيعة إلى أن صوم هذا اليوم من الكبائر؛ حيث زعموا أن أهل السنة يصومون يوم عاشوراء فرحًا بمقتل الحسين رضي الله عنه وأرضاه.

فقد روى الكليني في الكافي عن جعفر بن عيسى قال: "سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه، فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني، ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم ويتشاءم به أهل الإسلام لا يُصام ولا يُتبرك به، ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله عز وجل فيه نبيه وما أُصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين فتشاءمنا به وتبرك به ابن مرجانة وتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم، فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان حشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما...."

Upload by : altawhedmag.com

وما رواه الكليني لا يصح مطلقًا، فهذا بهتان فلا يتصور أن يفرح مؤمن بمقتل سبط النبي الحسين ضي الله عنه وأرضاه. كما أن صوم عاشوراء عرفه العرب قبل الإسلام، فقد عرف العرب صوم عاشوراء، فقد صامت قريش عاشوراء قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل أن يُولد والدي الحسين نفسه رضي الله عنهم، وعن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعًا وأرضاهم، فقد أخرج الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما هاجر إلى المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان، قال: من شاء صامه، ومن شاء تركه". (متفق عليه واللفظ لمسلم). وعند البخاري أن قريشًا كانت تكسو الكعبة في عاشوراء. لقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "وَكَانَ يَوْمًا تُسْتَرُ فِيهِ الْكَعْبَةُ".

وصوم عاشوراء كان من بقايا دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم الذي بقي في العرب كالحج والعمرة، فرغم شركهم كانت العرب تؤدي الحج والعمرة، كما كانت العرب تعظم الأشهر الحرم رغم ابتداعهم النسيء؛ ورغم تقديمهم وتأخيرهم في الأشهر الحرم، ولكنهم ظلوا على تعظيمها.

كما كانت اليهود تعظم عاشوراء وتصوم هذا اليوم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى. قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ". ومن ثم فعاشوراء لم يصمه أهل السنة فرحًا بمقتل الحسين كما يزعم الشيعة، بل إن العرب في الجاهلية قبل البعثة عرفت صوم عاشوراء، كما صامه اليهود؛ وهو ما ينفي هذه المزاعم.

ورغم كراهية الشيعة ليوم عاشوراء إلا أنهم يستغلون ذكرى مقتل الحسين ويتخذون منها ذريعة للثورات، وتصدير ثورتهم، فرغم أن جميع الأطراف قد أفضوا إلى ما قدموا من عمل منذ مئات السنين، والمولى سبحانه يقضي بينهم، إلا أن الشيعة لا تقنع بذلك فيأبوا إلا أن يحاكموا التاريخ، وتوجه الاتهامات الباطلة إلى المعاصرين عن أمر لم تقترفه أيديهم، ولم تحث عليه ألسنتهم، ولا يرضونه بقلوبهم، ولكن كل ذلك لا يشفع لهم، فقضيتهم الأساسية هي مقتل الحسين. واللافت للنظر أن عليًا رضي الله عنه وهو والد الحسين -وهو أفضل من ابنه بلا ريب- قد مات مقتولاً، ولم يحدث ما حدث لمقتل الحسين، وقبله مات عمر رضي الله عنه مقتولاً؛ وكذلك عثمان رضي الله عنه.

ويتخذ الشيعة من قضية مقتل الحسين ذريعة للخروج على أئمة الجور، وتغيير أنظمة الحكم، فكل حاكم ظالم هو "يزيد"، والشعب المقهور المظلوم هو "الحسين"، والعجيب أنهم رغم تباعد الزمان بينهم وبين تلك الحوادث؛ حيث يفصلهم عنها ما يقارب أربعة عشر قرنًا من الزمان، فلم يشاروا فيها ببنان ولا لسان، إلا أنهم يقومون بضرب أنفسهم بالسلاسل والسكاكين، ويدمون أنفسهم وأبناءهم فيما يعرف بالتطبير؛ تكفيرًا عن خذلانهم للحسين الذي مات قبل أن يُولد آباؤهم الأقدمين (وكأنهم حملوا خطئية ذلك دون ذنب أو جريرة). وكأنهم لم يقرأوا قول الحق سبحانه: «ألا تزر وازرة وزر أخرى» (النجم: ٣٨).

كما أنهم لا زالوا يرفعون شعار "الحسين سر انتصارتنا"، و"يالثأرات الحسين!" وهو الشعار الذي اختاره المختار بن يوسف الثقفي الذي قاد حركة التوابين، وكان أول من أقام احتفالاً تأبينيًا في داره في الكوفة بمناسبة يوم عاشوراء، وأرسل النادبات إلى شوارع الكوفة للندب على

Upload by : altawhedmag.com

الحسين. واتخذوا من حب الحسين رضي الله عنه ذريعة لتجميع أشياعهم، وإظهار بأسهم وحث غيرهم على الانضواء تحت لوائهم. وهذا مكمن الخطر فإنهم يعدون كل محب لآل النبي صلى الله عليه وسلم مُواليًا لهم، ولذا نظروا إلى من تجمعوا عند قبر الحسين رضي الله عنه، وعند قبر البدوي ثم تبجحوا زاعمين أن مصر بها خمسة ملايين من الشيعة، وهذا أمرٌ عار عن الصحة؛ ولكنه يشير إلى أن الغلو في التصوف قد يكون قنطرة للتشيع.

وكلما قويت شوكة الشيعة الروافض كلما ظهرت مآتمهم علنًا، ففي دولة بني بويه الشيعية في سنة ٣٥٢هـ، وكانوا من الفرس الذين أسلموا وغالوا في تقديس مراقد الأئمة، وعظّموا قبورهم، ولما تولى معز الدولة ابن بابويه وتحكم في بغداد حاضرة الخلافة -وكان شيعيًا جلدًا- أظهر شعائر الرفض وأمر الناس بالاحتفال بيوم كربلاء وبيوم غديرخم، وظهر النَّوح واللطم ولُبس السواد بين الناس. وأمر أهل بغداد بالنواح على الحسين رضي الله عنه يوم عاشوراء، وأمر بغلق الأسواق ومنع الطباخين من عمل الأطعمة، وكانت نساء الشيعة تخرج في هذا اليوم منشرات الشعور، يلطمن وجوههن.

وفي مصر اتخذت الدولة العبيدية الرافضية -المسماة في كتب التاريخ بالدولة الفاطمية- يوم عاشوراء يوم حزن ونياحة فكانت تتعطل فيه الأسواق ويخرج المنشدون في الطرقات، يرون الأحداث التي تلهب المشاعر.

وكان الخليفة يجلس في ذلك اليوم متلثمًا يُرى به الحزن كما كان القضاة، والدعاة، والأشراف، والأمراء يظهرون وهم ملثمون حفاة، فيأخذ الشعراء بالإنشاد ورثاء أهل البيت وسرد الروايات والقصص التي اختلقوها في مقتل الحسين رضي الله عنه (للاستزادة انظر: البداية والنهاية لابن كثير، والعبر للذهبي).

ومن مظاهرهم في أيامنا خروج المواكب العزائية في الطرقات والشوارع مظهرين اللطم بالأيدي على الخدود والصدور، والضرب بالسلاسل والحديد على الأكتاف حتى تسيل الدماء، مع رواية سيرة الحسين في محافل شعبية؛ وانشاد الأشعار المتعلقة بذلك (تعرف بمسرح التعزية).

ورواية سيرة الحسين في محافل شعبية تعود جذوره إلى القرن العاشر الهجري عندما اعتلى الصفويون سدة الحكم في إيران، واتخذوا من التشيع عقيدة رسمية لدولتهم؛ حيث تطورت هذه الشعائر بنوعيها المعروفين، أي رواية سيرة الحسين في تجمعات شعبية حافلة، تليها المواكب، وكانت حصيلة الدمج بين هذين النمطين في إيران ولادة ما عرف بمسرح التعزية.

ولم تقتصر تلك الشعائر على العراق وإيران، بل امتدت إلى بلدان أخرى، فيذكر المقريزي في خططه أن شعار الحزن يوم عاشوراء كان أيام الإخشيديين، واتسع نطاقه في أيام الفاطميين، فكانت مصر في عهدهم بوقت البيع والشراء تعطل الأسواق، ويجتمع أهل النوح والنشيد يكونون بالأزقة والأسواق، ويأتون إلى مشهد أم كلثوم، والسيدة نفيسة وهم نائحون باكون.

ولم تقتصر البدع في يوم عاشوراء على الشيعة، وانما نجد بعض أهل السنة وقد أحدثوا بدعًا تتعلق بيوم عاشوراء تجافي السنة منها: الزعم بأنه من السنة الاكتحال يوم عاشوراء، وروى بعض المتأخرين أحاديث مكذوبة في ذلك مثل: ما رووه أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام؛ وأمثال ذلك مما هو مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم.

كما رووا حديثًا موضوعًا مكذوبًا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه مَن وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة.

Upload by : altawhedmag.com

كما ذهب البعض إلى استحباب الاغتسال يوم عاشوراء، والتعييد بالمصافحة، واعداد بعض ألوان الطعام الخاصة كأكلة (عاشورة) المعروفة في مصر والتي تصنع بالقمح واللبن.

بل وذهب البعض إلى تخصيص يوم عاشوراء بصلاة معينة، وهو ما لا يجوز لأنه لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ولا عن أصحابه ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم.

كما لا يصح مطلقًا ما يروى كذبًا عن أحداث وقعت في عاشوراء مثل: توبة آدم على الجودي، ورد الله يوسف على يعقوب، وانجاء نبي الله إبراهيم من النار، وفداء نبي الله إسماعيل الذبيح بالكبش، فهذا كله كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

صوم اليهود عاشوراء:

وردت عدة أحاديث تؤكد أن اليهود كانت تصوم عاشوراء شكرًا لله أن نجاهم من فرعون في هذا اليوم، منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا، قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه نبي الله موسى عليه السلام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه" (متفق عليه).

ولحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فصوموه أنتم" (متفق عليه).

حكم صوم عاشوراء

ذهب بعض الفقهاء إلى استحباب صوم عاشوراء؛ لأنه يكفر صغائر الذنوب للسنة الماضية، وأنه سُنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذهب البعض إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم صام عاشوراء قبل فرض الصوم ثم ترك صومه، ومن قال باستحباب صومه اختلف في كيفية صومه هل يُصام منفردًا؟ أم يُصام مع التاسع؟ أم يُصام التاسع بدلًا من عاشوراء؟ أم يُصام يوم قبله وبعده؟ ونعرض لذلك فيما يأتي:

صوم عاشوراء منفردًا:

ذهب بعض الفقهاء إلى استحباب صوم يوم عاشوراء منفردًا، واستندوا إلى حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: "يُكفِّرُ السَّنَةَ الماضيةَ" (صحيح مسلم).

وإلى ما ورد في الصحيحين عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يوم عاشوراء عام حج، على المنبر يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه. وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر" (متفق عليه).

وهذا الحديث يؤكد أن أهل المدينة لم يكونوا يصومون عاشوراء، ولذا يقول معاوية رضي الله عنه: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ يريد منهم جوابًا عن سبب عدم صومهم عاشوراء.

ولحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشهر، يعني شهر رمضان" (متفق عليه).

ولكن ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما مردود بأن ابن عباس وُلد قبل الهجرة بعامين ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي يافع، ومن ثم لم يتسنى له الوقوف على حال النبي صلى الله عليه وسلم. كما أنه مردود بأفضلية يوم عرفة بإجماع أهل العلم. وبأنه رضي الله عنه ما كان يوم عاشوراء بل تاسوعاء. وبأحاديث الصحابة الأخرى التي تفيد ترك النبي صلى الله عليه وسلم لصوم عاشوراء والتي

Upload by : altawhedmag.com

سترد لاحقًا.

صوم تاسوعاء منفردًا:

ذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى أن المستحب هو صوم التاسع وليس صوم عاشوراء، وذلك لما رواه مسلم عن الحكم بن الأعرج قال: "انتهيت إلى ابن عباس رضي الله عنهما وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له: أخبرني عن صوم عاشوراء؟ فقال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائمًا. قلت: هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه؟ قال: نعم" (صحيح مسلم).

ومن ذهب إلى استحباب صوم التاسع استند إلى حديث عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لئن بقيت إلى قابل، لأصومن التاسع. وفي رواية أبي بكر قال: يعني: يوم عاشوراء" (صحيح مسلم).

وقد ورد في رواية لهذا الحديث عن أبي غطفان بن طريف المري أنه قال: سمعت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء، وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع. قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم" (صحيح مسلم).

ولكن هذا الحديث فيه إدراج من أحد الرواة وهو قوله: "فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم": لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فصامه وأمر بصومه وكان ذلك في أول السنة الثانية من الهجرة، وهمّ النبي بصوم تاسوعاء لمخالفة اليهود، ولكن لما فرض صوم رمضان في العام الثاني من الهجرة ترك صلى الله عليه وسلم صوم عاشوراء، ومن ثم لا يستقيم قوله أنه لم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فضلا عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما توفي لم يكن بالمدينة يهود؛ حيث أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم عقب غزوة خيبر، وهو ما يتأكد معه أن قول القائل: "فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم" هو إدراج من أحد الرواة.

القول باستحباب صوم التاسع والعاشر:

ذهب الشافعي وأحمد إلى استحباب صوم التاسع والعاشر جميعًا: لأن النبي صلى الله عليه وسلم صام العاشر، ونوى صيام التاسع، واستدلوا على استحباب صوم التاسع والعاشر بحديث ابن عباس في صحيح مسلم: "لئن بقيت إلى قابل، لأصومن التاسع": بأنه نوى صوم التاسع والعاشر.

وهذا مردود بأن الحديث لم يذكر العاشر، وهو أيضًا مردود بفعل راوي الحديث، وهو ابن عباس حيث كان يصوم التاسع فقط كما سلف البيان.

القول باستحباب صوم التاسع والعاشر والحادي عشر:

ذهب بعض الفقهاء كابن القيم -رحمه الله- إلى أن صوم يوم عاشوراء على ثلاث مراتب: أعلاها: صوم التاسع والعاشر والحادي عشر: لحديث: "صوموا قبله يومًا وبعده يومًا". ويليها: صوم التاسع والعاشر لحديث: "إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع". وآخرها: إفراده بالصوم أي صوم يوم عاشوراء وحده، للأحاديث الدالة على تأكيد صومه.

وهذا القول لا يصح وليس من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء، وليس من هدي النبي صوم التاسع والعاشر والحادي عشر، كما أنه لا يصح الاستشهاد بحديث عبد الله بن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يومًا أو بعده يومًا (مسند أحمد بن

Upload by : altawhedmag.com

حنبل): لأن هذا الحديث ضعيف لسوء حفظ ابن أبي ليلى، وقد خالفه من هو أوثق منه كعطاء وغيره فرووا الحديث عن ابن عباس موقوفًا عليه. فضلاً عن الحديث لفظه (أو) صوموا قبله يوماً أو بعده يومًا. فالحديث مع ضعفه ليس فيه صوم الأيام الثلاثة مجتمعة.

ترك صوم عاشوراء:

وردت أحاديث عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد أنه ترك صوم عاشوراء لما فرض صوم رمضان، منها حديث عائشة رضي الله عنها السالف في الصحيحين، أن قريشًا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شاء فليصمه ومن شاء أفطره".

وحديث نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: في يوم عاشوراء: "إن هذا يوم كان يصومه أهل الجاهلية، فمن أحب أن يصومه فليصمه، ومن أحب أن يتركه فليتركه"، وكان عبد الله رضي الله عنه لا يصومه إلا أن يوافق صيامه. (متفق عليه). فابن عمر لم يكن يصوم عاشوراء إلا يوافق يوم اثنين مثلاً فيصومه لأنه يوم اثنين وليس لأنه عاشوراء.

وحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَيَحُثُّنَا عَلَيْهِ وَيَتَعَاهَدُنَا عِنْدَهُ: فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ لَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا وَلَمْ يَتَعَاهَدْنَا عِنْدَهُ" (صحيح مسلم).

وحديث عبد الله بن مسعود: دخل الأشعث بن قيس على عبد الله وهو يتغدى فقال: يا أبا محمد، ادْنُ إلى الغداء فقال: أوليس اليوم يوم عاشوراء؟ قال: وهل تدري ما يوم عاشوراء؟ قال: وما هو؟ قال: إنما هو يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه قبل أن ينزل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان تركه (متفق عليه).

فابن مسعود لم يصم عاشوراء كما يتضح من هذا الحديث، بل ويقرر للأشعث بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك صوم عاشوراء.

وعلى ذلك فلا نرى صحة ما يحدث في بعض المساجد من تعليق أوراق تدعو إلى صوم (التاسع والعاشر والحادي عشر من المحرم) بدعوى اتباع السنة، وما يحدث عبر شبكات التواصل الاجتماعي من إرسائل رسائل نصية وتغريدات للدعوة لصوم هذه الأيام الثلاثة بعينها على أنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وأن مراتب صوم عاشوراء ثلاثة أكملها: أن يُصام قبله يوم وبعده يوم، فهذا كلام يُستدل له ولا يُستدل به. مع التأكيد على أن الصوم في شهر المحرم هو من أفضل الصوم بعد صوم رمضان، فاستحباب الصوم في شهر المحرم ثابت بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ" (صحيح مسلم).

فمن أراد أن يصوم في المحرم فليصم كيف شاء، ولا يحتاج أن يتكلف في الاستدلال لصوم التاسع والعاشر بحديث ضعيف، أو بتأويل حديث صحيح لا يشهد لقوله، فضلاً عن دعوة الناس إلى صوم عاشوراء مع صوم يوم قبله ويوم بعده دون سند لذلك.

نسأله سبحانه وتعالى العون على طاعته، والعمل لمرضاته، والنصر للمسلمين المستضعفين في كل مكان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com